بسم الله الرحمن الرحيـم

اللهجات العربية في القراءات القرآنية

من كتاب: اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي رحمه الله بتصرف قليل،
وكتاب الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوي رحمه الله

إعداد وجمع وترتيب

مهندس/ عمر عبد الله أبو عمرة

مهندس/ عمرو أيمن مغاري

1441 هـ - 2019 م

- **مقدمة:**

إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين حيث ورد ذلك في مواضع كثيرة في القرآن الكريم فقال الله تعالى في سورة يوسف "إنّا أنزلناه قرآناً عربيــاً لعلّكم تعقلون" وفي سورة النحل قال " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" وقال في سورة الرعد "وكذلك أنزلناه حكماً عربياً " وفي سورة طـه " وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا " وفي سورة الشعراء " وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمير على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " وغيرها من المواضع التي قررت أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ولمّا كان هذا التقرير اقتضيت تقديم عبارات موجزة عن موقع العرب وأقوامهم ودياناتهم وبعض صور من المجتمع العربي الجاهلـي.

- **موقع العرب:**

كلمة العرب تنبئ عن الصحارى والأرض المجدبة التي لا ماءَ فيها ولا نبات وقد أطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب ,كما أطلق على قوم سكنوا تلك الأرض واتخذوها موطناً لهم.

وجزيرة العرب يحدها غرباً البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء , وشرقاً الخليج العربي وجزء من بلاد العراق الجنوبية , وجنوباً بحر العرب الذي هو امتداد لبحر الهند ,وشمالاً بلاد الشام وجزء من بلاد العراق , وتقدر مساحتها ما بين مليون ميل مربع إلى مليون وثلاثمائة ألف ميل مربع.

- **أقسام العرب:**

قسّمها المؤرخون إلى ثلاثة أقسام بسبب السلالات التي ينحدرون منها:

1. العرب البائدة:

وهم العرب القدامى الذين انقرضوا تماماً ولم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم مثل عاد , وثمود , وطسْم , وجديس , وعملاق , وحضرموت , وعبيل , وغيرها.

2. العرب العاربة:

وهم العرب المنحدرة من صلب يشجب بن يعرب بن قحطان وتسمى بالعرب القحطانية.

3. العرب المستعربة:

وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل عليه السلام وتسمى بالعرب العدنانية.

- **ديانات العرب:**

كان معظم العرب يدينون بدين إبراهيم عليه السلام منذ أن نشأت ذريته في مكة وانتشرت في جزيرة العرب فكانوا يعبدون الله ويوحدونه ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف ,حتى طال عليهم الأمد ونسوا حظاً مما ذكروا به , إلا أنهم بقي فيهم التوحيد وعدة شعائر من هذا الدين , حتى جاء عمرو بن لحى رئيس خزاعة , وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين , فأحبه الناس ودانوا له , ظناً منهم أنه أكبر العلماء وأفاضل الأولياء إلى جانب أن الشرك وعبادة الأصنام كانا أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام , وكانت العرب تستقسم بالأزلام , والزّلم : القدح الذي لا ريش له , وكانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين و, والكاهن : هو من يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل ,ويدعي معرفة الأسرار ومن الكهنة من يزعم أن له تابعاً من الجن , ومنهم من يدعي إدراك الغيب , ومنهم من يدعي معرفة الأمور بمقدمات وأساليب مختلفة , وغيرهم الكثير لا مجالَ لحصرها.

وأما الديانة النصرانية , فقد جاءت إلى بلاد العرب عن طريق احتلال الحبشة وبعض البعثات الرومانية , وأما المجوسية , فكان ما كان منها في العرب المجاورين للفرس , أما الصابئية , وهي ديانة تمتاز بعبادة الكواكب وبالاعتقاد في أنواء النجوم , وأما اليهودية ,فقد انقلبت رياءً وتحكماً وصارَ رؤساؤها أرباباً من دون الله , وأما سائر أديان العرب : فكانت أحوال أهلها كأحوال المشركين , قد تشابهت قلوبهم وتواردت عقائدهم , وتوافقت تقاليدهم وعوائدهم.

- **أخلاق العرب في العصر الجاهلي:**

لا شك أن أهل الجاهلية كانت فيهم دنايا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم ويأباها الوجدان , ولكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان ويفضى به إلى الدهشة والعجب , فمن تلك الأخلاق:

1. الكرم:

كان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته , فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها , فيذبحها لضيفه وغيرها من الصور.

2. الوفاء بالعهد:

فقد كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به, وستهينون في سبيله قتل أولادهم وتخريب ديارهم.

3. عزة النفس والإباء عن قبول السخف والضيم:

وكان من نتائج هذا فرط الشجاعة وشدة الغيرة , وسرعة الانفعال , فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان , وأثاروا الحروب والعوان , وكانوا لا يبالون بتضحية أنفسهم في هذا السبيل.

4. المضي في العزائم:

فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار, لا يصرفهم عنه صارف, بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله

ولعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعاً بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم , إذ لا يمكن قمع الشر والفساد وإقامة نظام العدل والخير إلا بهذه القوة القاهرة وبهذا العزم الصميم , ولهم أخلاق فاضلة أخرى دون هذه التي ذكرناها لا سبيل لحصرها.

- **المقصود باللهجات:**

هي العناصر التي تتكون منها الفصحى , أو الخصائص اللهجية التي تنسب إلى قبائل بذاتها ثم دخلت الفصحى وصارت جزءا منها , أي صار لها مستوى من الفصاحة يقرأ به القرآن وينظم به فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة, ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة.

والعلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة التي بين العام والخاص أما عن معناها في الكتب التراثية القديمة : نحن نعلم أنّ ما بين اللهجة واللغة هو ما بين الخاص والعام أو ما بين الفرع والأصل لكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث , بل إنّهم لم يستعملوه قط في كتبهم , وغاية ما وجدناه عندهم ما تردده معاجمهم من أنّ (اللهجة) هي اللسان أو طرفه أو جرس الكلام , ولهجة فلان لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها.

- **العاميات العربية:**

من المعروف أنّ العرب كباراً وصغارانًساء ورجالاً متعلمين وجهالاً كانوا يتكلمون في حياتهم اليومية لغة عربية سليمة صحيحة لا بالتكلف والتعلم ولكن بالسليقة والطبع فلا مجال في كلامهم لشيء يسمى العامية والله أعلم .اللهمّ إلاّ إذا فرقنا بين لهجات القبائل العربية واعتبرنا بعضها أفصح من بعض إلى درجة أن نجعل لهجة كلهجة قريش في مقدمة الفصاحة وننزل ببعض اللهجات الأخرى إلى درجة العامية والله أعلم بالحق والصواب.

- **مناطق الجزيرة العربية:**

- الحجاز: وفيها الاستقرار والتحضر حيث توجد مدينة تجارية دينية مثل مكة أو مناطق زراعية مثل يثرب وغيرها من هذه الأودية.

- اليمن: تعتبر من أخصب بقاع شبه الجزيرة لجودة أرضها وكثرة مياهها, وهي من هنا ليست منطقة بداوة بل مقر تحضر واستقرار, فقد سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها ويدلنا على ذلك كثرة مدنها التي يعددها الهمداني من نحو صنعاء وصعدة وخيوان وريدة وذمار وخبأ وعدن ولحج والحصيب وأم جحدم.
- تهامة: وطبيعة أرضها وموقعها وخاصة في الجنوب تتيح لساكنيها الاستقرار حيث الخصوبة والماء, وكما أنّ وقوعها على ساحل البحر جعل أهلها يتجهون إلى الملاحة والنقل البحري.
- العروض: متميزة لأنها تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج الفارسي, ومعظم الأرضين فيها صحراء خاصة كلما ابتعدنا عن الساحل, لذلك كان أهلها بداة يرتحلون سعيا وراء الماء والرزق.
- نجد: وفي نجد مناطق تتوافر فيها المياه وبخاصة في الشمال في منطقة وادي الرمة ومنطقة الحرار. لكن معظم المنطقة صحراء وأهلها بدو رحل.

ومن هذا العرض للبيئة الجغرافية لشبه الجزيرة من النصوص القديمة نستطيع أن نتصور مناطق التحضر والاستقرار على أنها توجد في اليمن وفي بعض تهامة والحجاز وأن مناطق التبدي توجد في نجد والعروض.

- **أسباب نشوء اللهجات وتمايزها:**

- أسباب جغرافية: فإنّ اختلاف البيئة الجغرافية يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية .
- أسباب اجتماعية: إنّ المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات, فالطبقة الأرستقراطية مثلا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع, ويلتحق بذلك أيضا ما نلحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية.
- احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور: وفي التاريخ شواهد كثيرة على أثر الصراع اللغوي، فاللهجات العربية التي انتشرت في البلاد الإسلامية دليل عليه، ولهجاتنا العامية الحالية فيها مظاهر كثيرة من أثر الاحتكاك اللُغوي.
- أسباب فردية : يقول العالم اللغوي فندريس في كتابه اللغة : من الحقائق المقررة أنّ اللغة إذا "كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها, ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى.

- **هل يمكن التحول إلى لهجة أخرى؟**

إنّ الذي ذكره المتقدمين هو صعوبة التحول من لهجة لأخرى لا استحالتها وخاصة إذا تعلق الأمر بصنف خاص من المتكلمين كالشيخ والمرأة ومن غلب عليه الطبع حتى لم يعد ينفع معه تعليم معلم ولا تلقين ملقن.

- **اللهجات العربية والقراءات القرآنية:**

تعتبر القراءات القرآنية أهم مصدر لمعرفة اللهجات العربية فتناول من أجل ذلك مسائل ومباحث متعلقة بالقراءات كأصل نشأة القراءات ومسار تطورها ومسألة توثيق النص القرآني وبيان القراءات الصحيحة والشاذة ومصادر القراءات في التراث الفكري القديم ولهجات القراءات والقراء ومسألة الخلاف بين النحاة والقراء.

فاختلاف الصحابة إذن يرجع إلى اختلاف أحرف القرآن لا غير كما هو ظاهر من الحديث من مظاهر توثيق النص القرآني كذلك كتابته سواء في زمنه أو في زمن خلفائه ثم جاءت الفتوح الإسلامية وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرون هناك . ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ليعلموا الناس القرآن الكريم.

فكثر القراء الأئمة وتعددت القراءات المأخوذة عنهم ويبدو أنّ القراءات السبع لم تكن قد اشتهرت في الوقت الذي بدأ العلماء فيه يؤلفون في القراءات كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبري وإسماعيل بن إسحاق القاضي فقد ذكروا في كتبهم أضعاف تلك القراءات ثم جاء وقت بدأ الناس فيه يقبلون على قراءات بعض الأئمة دون بعض فقبلوا بعض القراءات وردّوا بعضها الآخر كما قدّموا بعضها على بعض معتمدين في ذلك على قواعد محدّدة وأصول معيّنة.

- **لماذا تعتبر القراءات عاملاً مهماً في معرفة أصول اللهجات؟**

أوّلاً : لوثاقتها وصحة ثبوتها بخلاف جميع المصادر الأخرى .

ثانياً: لتنوعها وكثرة مادتها ، فالقراءات على خلاف باقي المصادر لا تكتفي بمجرد نقل المسموع من كلام العرب بل تقرنه بصفة أدائه كذلك, يقول الكاتب في هذا الشأن: "ونحن نعتبر القراءات أصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية, لأنّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر بل يختلف عن طرق نقل الحديث فالقراءة؛ لا تكتفي في النقل بالسماع بل لا بدّ من شرط التلقي والعرض وهما أصح الطرق في النقل اللغوي"

- **ثالثاً:** علم أصحاب القراءات بعلوم العربية أضف إلى ذلك أنّ أصحاب القراءات كانوا إلى شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها.
- **رابعاً:** عدالة أئمة القراءة.

- **القراءات الشاذة واللهجات العربية:**

نحن لا نستطيع أن نعوّل على القراءات الصحيحة وحدها في معرفة اللهجات العربية إذ أنّ العبرة في اختلاف القراءات إنما كانت لاختلاف اللهجات وهذه القراءات الصحيحة ليست كل القراءات التي كان يقرأ بها المسلمون الأولون لكنها اشتهرت على رأس الثلاثمائة حين سبّع ابن مجاهد القراءات السبع واستثنى ما عداها ." ويقول أيضا: "وعلى أية حال فإنّ القراءات الشاذة جاءت منقولة مروية والرواية تبلغ بها عصر الرسول وهو الأمر الذي يهمنا هنا إذ تعتبر بذلك صورة لاختلاف اللهجات.

- **اللهجات العربية في المستوى الصوتي:**

مذاهب القراء في الهمزة:

- أبو جعفر قارئ المدينة كان أكثر القراء ميلا إلى تسهيل الهمزة أو حذفها وهو بذلك يمثل بيئته في هذه الظاهرة خير تمثيل.
- الإمام نافع قارئ المدينةأيضا لم يرو عنه تسهيل الهمزة إلاّ في حروف قليلة.
- ابن كثير قارئ مكة لم يرو عنه شيء من التسهيل في هذه القراءات كلها ومعنى ذلك أنّ قراءته من هذه الناحية لا تصور بيئته بحال.

فهذه القراءات توضح لنا - بما لا يدع مجالا للشك – أنّ تحقيق الهمز كان أكثر انتشارا من تسهيلها.

- **ملاحظات:**

1) التوزيع الجغرافي للهجات العربية بحسب تلفظها بالهمز فكتب العربية أجمعت على أنّ تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورها, أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها, وأنّ تسهيلها لهجة أهل الحجاز.
2) هذا التنوع بين تحقيق الهمز وتسهيله قائم على تحضّر أو بداوة بيئتها مستدلا أوّلا بالتوزيع الجغرافي المتقدم حيث يقول: "وهذه القبائل التي كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش في البادية , أما قبائل التسهيل فهي تلك التي كانت متحضرة في الحجاز وبخاصة قريش في مكة والأوس والخزرج في المدينة " كما استدل ثانيا بطبيعة صوت الهمز حيث يقول :"والذي عندنا أنّ تحقيق الهمز يناسب البيئة البدوية, إذ ثبت أنّها صوت شديد لأنّها صوت حنجري انفجاري لا هو بالمجهور ولا بالمهموس.

- **الإدغام:**

وهو عند القراء ضربان كبير وصغير,أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً، وأما الإدغام الصغير فهو ما كان الحرف الأول منه ساكناً. فالقبائل التي اشتهرت بالإدغام هي تلك القبائل التي كانت تميل الى السرعة والخفة في كلامها، والقبائل التي كانت تذهب إلى الإظهار هي التي تجنح إلى الوضوح والتأني فيه فأيها كان يظهر وأيها كان يدغم؟

- **مذاهب القراء في هذه الظاهرة مع بعض الأمثلة:**

1. الباء مع الفاء نحو (وإن تعجب فعجب) قرأ أبو عمرو والكسائي بإدغام الباء في الفاء وقرأ الباقون بالإظهار.
2. الباء مع الميم نحو (يعذب من يشاء) قرأ أبو عمرو والكسائي بإدغام الباء في الميم وقرأ الباقون بالإظهار واختلف حمزة وابن كثير.
3. التاء مع الثاء نحو (بعدت ثمود) و (كذبت ثمود).
4. التاء مع الجيم نحو (نضجت جلودهم) ، (جبت جنوبها).
5. التاء مع الظاء نحو (وكانت ظالمة)، (حملت ظهورها)
6. التاء مع السين نحو (وجاءت سيارة)، (أنبتت سبع).
7. التاء مع الصاد نحو (حصرت صدورهم)، (لهدمت صوامع).
8. التاء مع الزاي نحو (خبت زدناهم).

فقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغامها في كل هذه الحروف وقرأ ابن كثير و عاصم وأبو جعفر ويعقوب بالإظهار.

9. الثاء مع الذال نحو (يلهث ذلك) فقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر وعاصم بالإظهار وقرأ الباقون بالإدغام.
الثاء مع التاء نحو(لبثتم ولبثت) قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر بالإدغام وقرأ الباقون بالإظهار.
10. الدال مع الثاء نحو (ومن يرد ثواب الدنيا) فقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بإدغامها في الثاء وأظهر الباقين.
11. الدال مع الذال نحو (ص ذكر) فقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بإدغامها في الثاء وأظهر الباقين.
12. الذال مع التاء نحو (فنبذتها) ، (عذت بربي) فقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بإدغامها في الثاء وقرأ الباقون بالإظهار.
13. الراء مع اللام نحو (واصطبر لعبادته)، (وأن أشكر لي) فقرأ أبو عمرو وحده بإدغام الراء في اللام وقرأ الباقون بالإظهار.
14. الفاء مع الباء نحو (نخسف بهم) فقرأ الكسائي بإدغام الفاء في الباء وأظهر الباقون.
15. تأثر تقدمي : قرأ أبو جعفر (ثم اجعل على كل جبل منهن جُزًا) و(جُزٌّ مقسوم) بحذف الهمزة وتشديد الزاي . ومن الشواذ قرأ الزهري وقتادة (بين المرِّ وزوجه)، وقرأ الزهري (دفٌّ) من غير همز وبالتشديد.

- **استنتاجات:**

1. الإدغام في اللغة العربية يكاد ينحصر في هذا الضرب الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالتالي أي تأثر رجعي فيما عدا هذه القراءات الأخيرة التي يظهر فيها تأثر الصوت الثاني بالأول.
2. القراء الذين أشتهر عنهم الإدغام هم أبو عمرو بن العلاء والكسائي وحمزة وابن عامر وهم قراء البيئة الكوفية والشامية، وأن الذين اشتهر عنهم الإظهار هم أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب فمن الكوفة والبصرة.
3. أن القراءة بالإدغامكانت مشهورة وفاشية بين القراء حتى لا نكاد نجد واحداً إلا وقد شارك فيه ولو بقدر قليل، معنى ذلك أن الإدغاملم يكن يقل شيوعاً في اللغة العربية عن الإظهار إن لم يزد عليه حتى إن أبا عمرو بن العلاء يقول: الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره.
4. إذن نستطيع أن ننسب الإدغام إلى تلك القبائل العربية التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفف والسرعة في الكلام، كما نستطيع أن ننسب الإظهار إلى بيئة الحجاز المتحضرة وهي تميل إلى التأني في الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه.

- **الفتح والإمالة بين قبائل العرب:**

- **الإظهار والإدغام بين قبائل العرب:**